القول السديد

شرح

كتاب التوحيد

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

ت ١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى

تأليف العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ رحمه الله تعالى

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين

دار الثبات

للنشر والتوزيع

حُقوق الطّبع محفوظة للنّاشر

الطّبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الثبات للنشر والتوزيع

شارع السويدي العام - شرق النفق

ص.ب: ٦١٥٤٠ - الرياض: ١١٥٧٥

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٧٨٠٥٩ - ٢٦٧٨٠٥٨

تلفاكس: ٤٢٨٣١٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشـــر

اللهم لك الحمد على ما يسرت وأعنت، ولك الحمد على ما أسديت وأوليت، فمازلت يا ربنا بنعمك وآلائك تغذينا، ومازلت بفضلك وعونك تعطينا، وها نحن نتحدث بنعمك كما أمرتنا بقولك: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وأية نعمة أعظم وأجل من هذه النعمة التي نحن فيها؟ وأي فضل أحب إلينا من هذا الفضل الذي نحن فيه؟ بل أي تشريف وتكريم ننعم به عندما هيَّأ لنا ربنا خدمة كتابه وسنة نبيه ﷺ؟ فإذا كان أهل الدنيا والشرف والجاه يتباهون بدنياهم وشرفهم وجاههم فحقٌّ لنا وحريٌّ بنا أن نفاخر ونكاثر بهذا الفضل والنعيم والسؤدد الذي أكرمنا به مولانا ونحن خدَّام شرعه وحفظة سنته والذابين عن عقيدته ودينه وشرعته.

وقد تشرفنا من قبل فأصدرنا «**عمدة الأحكام الصغرى**» و«**عمدة الأحكام الكبرى**» و«**الرد على الجهمية**» ومن كنوز الفتاوى ١ـ فتاوى حول بعض الكتب. ٢ـ شبهات وإشكالات حول بعض الأحاديث والآيات. وكـلاهما لسماحة المشايخ ابن باز وابن عثيمين وعبد الرزاق عفيفي ـ رحمهم الله ـ وأصحاب الفضيلة المشايخ صالح الفوزان وابن جبرين ـ حفظهما الله ـ وها نحن الآن نتابع السير في هذا الطريق الطيب ونتبع الحسنة بحسنة بعدها، فهذا «**القول السديد في مقاصد التوحيد**» للشيخ الطيب المطيب عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ في شرح «**كتاب التوحيد**»

للإمـام المجدد شيخ الإسلام وزينـة الليالي والأيام محمد بـن عبـد الوهاب ـ رحمه الله ـ نقدمه لطلبة العلم وعموم المسلمين في حلة قشيبة زاده حسنًا على حسنه، وجمالاً على جماله، تحقيق أخينا الشيخ صبري بن سلامة شاهين الذي أجاد وأحسن وزيّن حواشيه بدرر وجواهر من أقوال أهل العلم الموثوق بديانتهم وعلمهم وعدالتهم، الأمر الذي يجعلنا نقدمه للقراء ونحن نفخـر بهذا العمل الجليـل والجهد المبـارك الـذي نسـأل الله ـ عز وجل ـ أن يكتب له القبول الحسن ليعم النفع به ويتتابع العمل بما فيه، وكلنا أمل في الله عز وجل أن يدخر الأجر الجزيل والثواب الجميل للمصنف والشارح والمحقق والناشر ليوم العرض عليه، يوم أن نكون أحوج ما نكون لحسنة ننجوا بها بفضل الله وكرمه في هذا اليوم العصيب.

وها هي دار الثبات للنشر والتوزيع ما تزال على المبدأ، فتنشر وتطبع ما تقوم به الحجة وتظهر به المحجة ونقدم المعذرة إلى ربنا، فهو سبحانه حسبنا وملاذنا ومولانا.

الناشـــر

دار الثبات للنشر والتوزيع

بالرياض

ت: ٠١٤٢٨٣١٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الملك الوهاب، الذي يقبل من عبده إذا تاب وأناب، فهو سبحانه ذو الحكم المطاع، ولأمره التسليم والانقياد بلا توقف أو نزاع، فآياته أنارت القلوب والأبصار، وشنّفت الأسماع، وهدت الحيارى إلى سبيل الحق والرشاد، وأنقذت كل من أسلم وخضع وانقاد، ونجا وفاز يوم العرض على رب العباد، من هول المطلع والمحشر يوم التناد ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

أحمده سبحانه وهو أهل للحمد والثناء، وأشكره على وافر عطائه، حيث أباح للعالمين معرفته، ودعا إلى عبادته، فانقسم الناس إلى شقي وسعيد ومطيع وعنيد، آثر فريق رضا مولاه، فعبده واجتهد في طاعته، وتنكب فريق آخر السبل وضل الطرق، وزهدوا في كتاب ربهم السهل الميسور، وأعرضوا عن سنة نبيهم التي تفيض بالنور، وضحك عليهم إبليس اللعين، ومرَّغ أنوفهم في الطين، فأوحى إليهم: أن يقولوا: ما لنا وما في هذه الموائد! فنحن لسنا أهلاً لذلك. فلابد لنا من وسائط. فراحوا يطوفون بالقبور، وطفقوا يستنجدون بالموتى والصخور. فيا لها من نعمة قد كفروها! ويا لها من منَّة قد ردوها. فما أشبه هؤلاء بحال الأعرابي الذي دخل عليه رسول الله ﷺ يعوده، فقال له: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» فقال الأعرابي وقد رد الخير

الذي أعطاه، وأطفأ النور الذي أسداه، وكفر النعمة، فقال ردًّا على الرسول مستنكرًا ومتعجبًا: طهور؟! كلا، بل هي حُمَّى تفور على شيخ كبير، تزيره القبور. فقال النبي ﷺ: «فنعم إذاً»[1]. فنعوذ بالله من الضلال، وكفران النعم وحلول النقم.

والحمد لله على فضله وإحسانه، ما زال يجود علينا بنعمه وآلائه، وما زال فريق من الناس يؤاخي الوسواس الخناس، ويفعل الشرك ليل نهار، وما يرى فيه من باس. فإذا عرضت عليه الآيات والأحاديث، قابلك بشبهات عدو الله الخبيث ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر:٤٩ ـ ٥١].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين، وجعلنا من أمة خير المرسلين، فما أعظمها من منّة، وما أفضلها من عطية، أن اختارنا مسلمين، ومنَّ علينا فجعلنا من حملة دعوته، والداعين إلى شرعه وملته، والحامين لحوزته. فاللهم لك الحمد على ما أعطيت وأوليت، ولك الحمد على ما تفضلت وأنعمت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف بتقصيره وتفريطه وتخليطه، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمداً عبده ورسوله المجتبى ونبيه المصطفى، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٦٥٦).

الله من أفضل وأعظم ما كتب في توضيح عقيدة التوحيد، وقد تتابع ثناء العلماء عليه، فقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد آل الشيخ رحمهم الله: هو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله: جمع على اختصاره خيراً كثيراً، وضمَّنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفَّقه الله، وبيَّن فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله.

وقال الشيخ أحمد بن مشرف رحمه الله:

وألّــف في التوحيــد أوجــز نبــذة ... بها قد هدى الرحمن للحق مـن هـدى

نصوصاً من القرآن تشفي مـن العمـى ... وكــل حــديث للأئمــة مســندا

وقال العلامة المؤرخ ابن بشر رحمه الله: ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله: كتاب التوحيد الذي ألفه شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ أجزل الله له الأجر والثواب ـ ليس له نظير في الوجود، قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله وأنزل كتبه، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه، فصار بديعاً في معناه لم يسبق إليه: علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعكف عليه الطلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعمَّ النفع به.

وقال الشيخ سلمان بن حمدان رحمه الله: كتاب التوحيد بديع الوضع، عظيم النفع، لم أر من سبق إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد، يبنى عليه كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينًا، فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفّه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع.

وقال الشيخ عبد الرحمن الجطيلي رحمه الله: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من أكبر الكتب نفعاً في معرفة التوحيد وأقسامه، والتحذير من الشرك وأنواعه وسد الذرائع الموصلة إليه وبيان شوائبه وما يقرب منه.

وقال الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله: كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ أجزل الله له الأجر والثواب ـ قد جاء بديعاً في معناه من بيان التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد.

وقال الشيخ عبد الله الجار الله رحمه الله: ألف عدة مؤلفات قيمة ـ يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ومن أهمها: هذا الكتاب القيم، الذي هو من أهم الكتب المصنفة في التوحيد.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: أوصي إخواني طلبة العلم مع العناية بالقرآن والسنة بالعناية التامة بكتب العقيدة وحفظ ما تيسر منها، لأنها الأساس والخلاصة من علوم الكتاب والسنة، مثل: كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وقال الشيخ عبد الله البسام حفظه الله: هو من أنفس الكتب، ولم يصنف على منواله.

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: هذا الكتاب من أنفس الكتب المؤلفة في باب التوحيد، لأنه مبني على الكتاب والسنة.

وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: ومن الكتب القيمة التي لا يستغني عنها مسلم كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى[1].

قال الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان حفظه الله: موضوع الكتاب: هو توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية، فكان هذا التوحيد أعظم حظا من حظ ما سواه من أنواع التوحيد، والسبب في ذلك أن هذا التوحيد يتضمن أنواع التوحيد كلها، فلا يتصور إله حق ليس هو خالق رازق محيي مميت، ليس متصفاً بصفات الجمال والكمال ومسمى بأفضل الأسماء وأحسنها، كما أن الكتاب قد عالج إبطال الشرك ومظاهره الذي هو ضد توحيد الألوهية والعبادة، وهو بذلك يقتدي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٥]، فاشتملت الآية على الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك الذي هو ضده وقد تعرض رحمه الله لتوحيد الصفات في باب سماه «باب من جحد شيئاً من

---

(١) مستفاد من كتاب «كتب أثنى عليها العلماء» تأليف عبد الإله الشايع (ص١٨٧ ـ ١٩١).

الأسماء والصفات» وباب «احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك»، وباب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يكاد يتعرض لتوحيد الربوبية إلا في إطار تقرير توحيد الألوهية، لأن الربوبية داخلة في الألوهية دخولاً أوليًّا، كما في باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠].

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد:

ويمكن حصره فيما يلي:

١ـ إنه كتاب أثري يعتمد على الآية والحديث والأثر وأقوال السلف.

٢ـ كل باب فيه ابتدىء بآية أو آيات أو حديث أو أثر.

٣ـ ذيل كل باب بمسائل هي في الحقيقة أحكام الباب أو ما يستفاد من هذه النصوص والآثار.

٤ـ أخذ في معالجة الموضوعات المختلفة حول توحيد الألوهية طريقة التفصيل بعد الإجمال.

٥ـ ترتيبه للأبواب اعتبرت فيه أولويات الموضوعات بحسب أهميتها وقربها من توحيد الألوهية.

٦ـ اختص الكتاب بعلاج ما يتعلق بتوحيد الألوهية دون سواه، وإن لم يخل من إشارات خاطفة لغيره من أنواع التوحيد.

٧ـ رتبت المسائل التي هي استنباطات حسب ترتيب نصوص الباب.

٨ـ ينقل بعض الإفادات عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة

ابن القيم.

٩ـ الكتاب فريد في بابه من جهة الجمع أو طريقة العرض أو ترتيب الأبواب ودقة المستنبطات.

طريقة الكتاب:

ويمكن إيجازها فيما يلي:

١ ـتقسيم الكتاب إلى أبواب.

٢ ـوُضِعَ عنوان للباب يعبر عما سيعالج فيه من معاني عقدية.

٣ ـابتداؤه بآية أو عدة آيات تدل على موضوعه، ثم بعد ذلك سياق الأحاديث والآثار.

٤ ـتذييله بمسائل هي مستنبطات من تلك النصوص والآثار.

٥ ـيلاحظ أن الكتاب ليس للمؤلف فيه أي جهد غير الجمع والترتيب والتبويب واستنباط الأحكام، ويبدو أن المؤلف رحمه الله أراد بذلك بيان أن دعوته أصولها التي تبنى عليها هي الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

٦ ـما جمع من الآي والحديث والأثر في أبواب الكتاب هي نصوص في بابها، لا تحتمل غير ما عنونت به أبوابها، والذي يظهر أن الشيخ رحمه الله أراد الإلزام التام لمن قرأ الكتاب بما فيه لوضوح دلالته وعدم احتمالها، ولأن الدليل إذا كان نصًّا واضح الدلالة لا معارض له كان ألزم في الحجة، وأظهر في تقرير مدلوله وسهولة

الوصول للمراد منه، ولأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية صحيحة المعنى، ولا مدخل للاجتهاد فيها من جهة، ولأنها من الوضوح بحيث يكون أي كلام غيرها ليس بأصرح منها في معانيها من جهة اللغة العربية التي هي لغة الوحي؛ ليبطل دعوى أنه جاء بذلك من قبل نفسه اجتهاداً وفهماً، فيكون ذلك معبراً عن رأي صاحبه غير ملزم لسواه ممن يخالفه في الاجتهاد والفهم.

٧ ـ مسائله مختصرة الألفاظ واضحة المعاني، صيغت بلغة سهلة ميسورة الفهم.

٨ ـ يعتبر الكتاب بالنسبة لما ألف مختصراً مفيداً سهل الحفظ جامعاً مانعاً في بابه.

٩ ـ بعض الأبواب يجعل الآية عنواناً لها، إشارة إلى أن الباب يعالج مدلول هذه الآية ومعناها ومقصودها.

١٠ ـ الإجمال في بعض المسائل كقوله: تفسير آية البقرة.

١١ ـ الأحاديث الضعيفة قليلة وأكثرها صحيحة، والضعيف فيها ليس متفقاً على ضعفه، وأما الأحاديث الموضوعة فهو منزه عنها فلا توجد فيه.

١٢ ـ أحاديثه وآثاره مجردة عن أسانيدها، وآياته غير منسوبة لسورها ولا مرقمة الآي.

١٣ ـ ينسب الأحاديث والآثار إلى كتب السنة دون تحديد الموضع،

وكثيراً ما يترك الحكم على الحديث.

١٤ ـ أكثر أحاديثه في البخاري ومسلم أو أحدهما أو بقية الكتب الستة: كمسند الإمام أحمد، ويقل أن يأتي بشيء من غيرها: كمصنف عبد الرزاق، وهو مرجع عظيم في الآثار وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني ونحوها.

١٥ ـ ينقل الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا يكاد ينقل عن سواهم شيئاً إلا نادراً جدًّا: كنقله لبعض الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

أهمية الكتاب:

تأتي أهمية كتاب التوحيد من جهة تقريره لأعظم أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، والكلام على إفراده، وضده الذي هو الشرك وأعظم ذنب عُصِيَ الله به، ومن جهة كونه كتاب أثري قد استوعب في طياته عدداً من النصوص والآثار الدالة على صحة ما عقد له الكتاب.

وهو أيضاً كتاب فريد في تأليفه وترتيبه مبتكر في فكرته وطريقة عرضه، ولا يعرف كتاب يشابهه في ذلك أو يقاربه.

وتزداد أهميته إذا علمنا أنه لم يؤلف بعد إلى الآن كتاب على منواله، ولا أعلم أيضاً كتاباً مثل طريقته ووضع على شاكلته، ولهذا كله فقد اعتنى علماء الدعوة السلفية وخاصة في نجد بشرحه والتعليق عليه ووضع الحواشي المفيدة له وتأليف الكتب لاستنباط ما يدل عليه من أحكام عقدية.

ولم يزل محلاً لعناية العلماء السلفيين وخاصة في المملكة العربية السعودية، ولا يكاد أن يوجد طالب علم فيها إلا وقرأه ودرسه مع بعض شروحه.

شروح كتاب التوحيد:

وأهم شروحه:

١ ـ تيسير العزيز الحميد، لحفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب العلامة المحدث الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وقد شرحه إلى أن بلغ باب ما جاء في منكري القدر.

٢ ـ فتح المجيد، وهو للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

٣ ـ قرة عيون الموحدين، وهو شرح مختصر لمؤلف فتح المجيد.

٤ ـ إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سعد بن عتيق.

٥ ـ القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٦ ـ حاشية، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٧ ـ تعليق مفيد جدًّا، للشيخ محمد منير آغا الدمشقي.

٨ ـ الدر النضيد، للشيخ سعد الجنيدل.

٩ ـ التعليق المختصر المفيد للدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

١٠ ـ الجديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد العزيز القرعاوي[١].

١١ ـ القول المفيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

ولقد حرصت على أن يكون عملي هذا على جادة الصواب: إرضاءً لربي، وخدمةً لديني، وتحفةً أسديها لإخواني طلبة العلم، وعامة المسلمين، وسلكت سبيل التسديد والمقاربة، فإن وفقت فهذا محض مِنَّةٍ من الرب الكريم، وإن زل القلم أو شرد الذهن أو لحق عملي خلل أو خطأ أو تخليط فأستغفر الله من كل ذلك، وأقر بأنه بسبب تقصيري، فإني لست من فرسان هذا الميدان، بل متطفل على موائد أهل العلم والعرفان، سائلاً المولى الكريم المنان أن يتقبل أعمالي، ويبارك في صنيعي، ويثقل موازيني، وينير وجهي، ويتجاوز عن العصيان، وأصلي وأسلم على النبي محمد سيد ولد عدنان وآله وصحبه.

كتبه أبو عبد الرحمن

صبري بن سلامة بن سلامة بن شاهين

بمدينة الرياض في ١٢ من ذي القعدة سنة ١٤٢٤هـ

جوال: ٠٥٤٢٩٤٦٩١

ص ب ٣٨٠٩٣٧ ـ رمز بريدي ١١٣٤٥

الصف والإخراج: ٤٩١٣٠١٦ ـ ٠٥٣١٦٣٠٧٩

---

(١) تعريف الخلف بمنهج السلف (ص٣٠٣ ـ ٣١٣) باختصار.

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله[1]

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد ابن راشد بن بريد بن مشرف النجدي التميمي. ولد سنة ١١١٥هـ ونشأ في بيت علم، فوالده من علماء البلاد وتولى القضاء في عدة جهات، وجده الشيخ سليمان كان عالماً جليلاً وإماماً في الفقه، وهو المفتي في البلاد في وقته، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم، وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان كان من أجلة العلماء، فنشأ الشيخ محمد في هذا الجو العلمي، وكان حاد الذهن متوقد الذكاء سريع الحفظ، حفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة، ودرس على والده كتب الفقه الحنبلي، وكان كثير المطالعة والقراءة للكتب إلى جانب قراءته على والده، فقرأ في كتب التفسير والحديث والأصول، وعني عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب العلامة ابن القيم، وكان لكتب هذين الإمامين أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية المتميزة، والأخذ بيده إلى مصادر العلم الصحيحة، فتكون لديه الاتجاه السليم منذ صغره، وتركزت في قلبه العقيدة الصحيحة، وتخرج على كتب هذين الإمامين المحققين.

---

(١) أخذت ترجمة الشيخ رحمه الله من كتاب: من مشاهير المجددين في الإسلام، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله. (ص٥٦ ـ ٨٣) باختصار.

رحلاته العلمية:

ولما استوعب ما يدرس في بلدته من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير تطلع إلى الزيادة، وعزم على الرحلة إلى علماء البلاد المجاورة للاستفادة من علومهم، فرحل إلى البصرة وإلى الأحساء وإلى مكة والمدينة، والتقى بعلماء تلك البلدان، وأخذ عنهم، واستحصل على الكتب والمراجع، ولنترك المجال لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ليحدثنا عن تلك الرحلات المباركة، قال:

إنه نشأ في طلب العلم، وتخرج على أهله في سن الصبا، ثم رحل لطلب العلم للبصرة مراراً وللأحساء ثم إلى المدينة. ثم قال في تفصيل ذلك: فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في الشرح الكبير والمغني والإنصاف، لما فيهما من مخالفة ما في متن المنتهى والإقناع، وعلت همته إلى طلب التفسير والحديث، فسافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فأظهر الله له أصول الدين ما خفي على غيره، وكذلك ما كان عليه أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات والإيمان.... إلى أن قال: فصنف في البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله بتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث... إلى أن قال: ثم إن شيخنا رحمه

الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة وتحصيل ما حصل بنجد، وهناك رحل إلى الأحساء وفيها فحول العلماء منهم عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد، وحضر مشايخ الأحساء ومن أعظمهم عبد الله بن عبد اللطيف القاضي، فطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدَّر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا أمر مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد.... إلى أن قال: ثم إن شيخنا رحمه الله رجع من الأحساء إلى البصرة، وخرج منها إلى نجد قاصداً الحج فحج رحمه الله تعالى، وقد تبين له بما فتح الله تعالى عليه ضلال من ضل باتخاذ الأنداد وعبادتها من دون الله في كل قطر وقرية إلا أن شاء الله، فلما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصداً المدينة مع الحاج فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها، فأقام بها وحضر عند العلماء إذ ذاك منهم محمد حياة السندي، وأخذ عنه كتب الحديث إجازة في جميعها، وقراءة لبعضها ووجد فيها بعض الحنابلة، فكتب كتاب الهدي لابن القيم بيده، وكتب متن البخاري، وحضر في النحو وحفظ ألفية ابن مالك. حدثني بذلك حماد بن حمد عنه رحمهما الله، ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله، انتهى المقصود. الدرر السنية (٩/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

فأنت ترى أيها القارىء من هذا السياق قوة الأسباب التي بذلها الشيخ لتحصيل العلم: كثرة الحفظ وكثرة القراءة والاطلاع وكثرة الرحلات في طلب العلم، للتلقي عن العلماء مع شدة الذكاء والنية الصالحة، إن هذه الأسباب مع توفيق الله تعالى كفيلة بتوفر التحصيل، وهذا ما حصل.

حالة المسلمين عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لقد ذكر المؤرخون كابن غنام وابن بشر وغيرهما عن حالة أهل نجد خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً الشيء الكثير من ظهور البدع والخرافات والشركيات والجهل بحقيقة الدين الصحيح؛ ففي نجد كانت القبور والأشجار والأحجار والمغارات تعبد من دون الله بأنواع من القربات، وفي الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد من ذاك الشيء الكثير.

بدء دعوة الشيخ محمد رحمه الله:

في وسط هذا الجو المظلم الذي سبق وصفه سطعت دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، ورفع صوته منكراً هذا الشرك، داعياً الناس إلى التوحيد، الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، فلقي من الناس ما يلقاه أمثاله من الدعاة إلى الله من الأذى، وأطاعه من وفقه الله لقبول الحق. يقول حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله ولا يرضاها من الشرك بعبادة الأموات والأشجار والأحجار والجن، فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد، وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله، وأن يتركوا ما كانوا يعبدونه من قبر أو طاغوت أو شجر

أو حجر، والناس يتبعه الواحد منهم والاثنان، فصاح به الأكثرون، وحذروا منه الملوك وأغروهم بعداوته. انتهى من الدرر السنية (٩/ ٢١٦).

وهذا لا يعني أنه لا يوجد علماء في هذا العصر، بل يوجد منهم الكثير، ولكنهم ما بين مستحسن لهذا الوضع السيء، أو غير مستحسن لكنه لا يملك الشجاعة لمقاومته.

المراحل التي مرت بها دعوة الشيخ محمد رحمه الله:

بدأ الشيخ دعوته في بلدة حريملاء لوجود والده فيها، ولكن لما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة بحثا عن غيرها، فاتجه إلى العيينة واتصل بأميرها عثمان بن معمر، فساعده في أول الأمر، واجتمع حوله طلبة، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية، فهدم بعض القباب الشركية ورجم في الزنا، ثم إن ابن معمر تخلى عنه خوفاً من تهديد بعض الرؤساء، فترك الشيخ العيينة، وبحث عن غيرها، فاتجه إلى الدرعية واتصل بأميرها محمد بن سعود، وعرض عليه دعوته، فقبلها وبايعه على مناصرته، وصدق في ذلك، وهنا استقر الشيخ رحمه الله، وانعقدت حوله حلق الدروس، ووفد إليه الطلاب من مختلف الجهات، وتكونت في هذه البلدة ولاية إسلامية أميرها الإمام محمد بن سعود وموجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وامتدت الدعوة إلى البلاد المجاورة، ونشأ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد وقمع الشرك، وما هي إلا فترة وجيزة حتى انتشرت الدعوة وتوحدت جميع البلدان النجدية تحت رايتها، وامتدت فيما بعد ذلك إلى الحجاز وعسير وشمال الجزيرة، وكان ذلك بفضل الله وحده، ثم بمؤازرة آل سعود لهذه